

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

مكية وهي مائة وثمان عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ كلمة «قد» ههنا لإفادة ثبوت ما كان متوقعا الثبوت، والفلاحُ: هو الفوز بالمراد أي قد فازوا بكل خير، وَنَجَوْا من كل ضر، حسبما كان متوقعا من حالهم، فإن إيمانهم، وأعمالهم الصالحة، من دواعي الفلاح، بموجب الوعد الكريم ﴿ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المصدّقون بما عُلّم من دين نبينا ﷺ، من التوحيد، والنبوة، والبعث، ونظائرها.

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢)

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ الخشوعُ: الخوف والتذلل، وقيل: هو ترك الالتفات في الصلاة، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألتُ رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: هو اختلاسٌ يختلسه الشيطانُ من صلاة العبد»^(١) والاختلاسُ: هو الاختطاف، ورأى ﷺ مصليا

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٩٤/٢ في صفة الصلاة، وأبو داود رقم ٩١٠ باب الالتفات في الصلاة.

يعبث بلحيته، فقال: «لو خشع قلبُ هذا، لخشعتُ جوارحُه»^(١) وقال ﷺ: «لا يزال الله مقبلاً على العبد، وهو في صلاته، ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه»^(٢).

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ ﴾ أي عن الكذب، والباطل، وكلّ ما لا يعينهم وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ أي في عامة أوقاتهم، ينزهون أسماعهم عن كل باطل، وإقامة الإعراض مقام الترك، ليدل على تباعدهم عنه رأساً.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ مؤدون، ولفظ ﴿ فاعلون ﴾ يدل على المداومة بخلاف مؤدون.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ممسكون لها عن الحرام، والفرج: اسم لسوأة الرجل والمرأة.

﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرِ مَلُومِينَ ﴾

(١) الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٩٠٩ والنسائي ٨/٣ باب التشديد في الالتفات في الصلاة، وصححه الحاكم.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم وفيه إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لا يخفى، وأنهم حافظون لها، وبذلك يتحقق كمال العفة ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي سراريهم، والآية في الرجال خاصة، لأن المرأة لا يجوز أن تستمتع بمملوكها ﴿فَأَيْتَهُمْ غَيْرَ مَلُومِينَ﴾ تعليل لما يفيد الاستثناء، من عدم حفظها منهن، فإنهم غير ملومين على عدم حفظها منهن؛ بل يُباح لهم الاستمتاع بهنَّ من غير محذور.

﴿فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ .

﴿فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أربع من الحرائر، وما شاء من الإماء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي الكاملون في العدوان، وفيه ما يدل على تحريم المتعة، لأنها ليست زوجة له، ولأنهما لا يتوارثان بالإجماع.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ لما يؤتمنون عليه، من جهة الحق والخلق ﴿رَاعُونَ﴾ قائمون عليها وحافظون لها على وجه الإصلاح.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾ المفروضة عليهم ﴿يُحَافِظُونَ﴾ أي يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها، وليس فيه تكرير لما أن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ أي الأحقاء بأن يسموا وُراثاً دون من عداهم.

﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١)

﴿ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ بيان لما يرتونه، وتفسير لها بما سيلقونه منها، تفخيماً لشأنها، لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم، حسبما يقتضيه الوعد الكريم. والفردوسُ: هو أعلى الجنة، لما روي عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجة ودرجة، كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تَفَجَّرُ أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»^(١) ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها أبداً ولا يموتون.

روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: قرأ الرسول ﷺ: ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ إلى عشر آيات من أولها ثم استقبل القبلة وقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، اللهم أرضنا وارض عنا، ثم قال: لقد أنزل الله عليّ عشر آياتٍ من أقامهن دخل الجنة»^(٢) وتلا الآيات.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٧)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ شروع في بيان مبدأ خلق الإنسان، والمراد بالإنسان الجنس، أي وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان، في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً إجمالياً ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ ﴾ من خلاصة سُلت من بين الكدر، والسلالة: الخلاصة ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ أي كائنة من طين، و«من» بيانية، وذلك لأن الإنسان إنما يتولد من الأغذية، والأغذية تتولد من صفو الأرض، فالإنسان بالحقيقة من سلالة من طين، وقيل: المراد بالطين آدم عليه السلام، لأنه خلق منه.

(١) أخرجه الترمذي في صفة الجنة رقم ٢٥٣٣ وأحمد في المسند ٣٣٧/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣١٧٣ ورواه أحمد في المسند.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ ﴾ أي جعلنا نسله ﴿ نُطْفَةً ﴾ بأن خلقناه منها وجعلنا السلالة نطفة ﴿ فِي قَرَارٍ ﴾ أي مستقر، وهو الرحم، عبّر عنها بالقرار مبالغة ﴿ مَّكِينٍ ﴾ أي حصين، سُمِّي مكيناً لمكانتها في نفسها، وحفظها فيه بدقة.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ أي دمًا جامدًا، بأن أحلنا النطفة البيضاء إلى علقه حمراء ﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ أي قطعة لحم ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ﴾ بأن صلَبناها عموداً للبدن، على أوضاع مخصوصة، تقتضيها الحكمة ﴿ فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴾ من بقية المضغ ما يليق به من اللحم، على المقدار اللائق به وهيئة مناسبة له، وحيث كان اللحم يستر العظم، جعله كالكسوة له ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ أي خلقاً مبيناً للخلق الأول، حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره عجائب فطرة، وغرائب حكمة ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ ﴾ فتعالى شأنه في علمه الشامل، وقدرته الباهرة، والالتفات إلى الاسم الجليل، لتربية المهابة، وإدخال الروعة، والإشعار بأن ما ذكر من أحكام الألوهية ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ أي أحسن المقدرين تقديراً، فحذف المميّز لدلالة الخالقين عليه، والمراد أحسن من خلق وأبدع الخلق!! .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴾ .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ أي بعد ما ذكر من الأمور العجيبة ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ لسائرون إلى الموت لا محالة، عند انقضاء آجالكم.

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (١٦)

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي عند النفخة الثانية ﴿ تُبْعَثُونَ ﴾ من قبوركم، للحساب والمجازاة، بالثواب والعقاب.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (١٧)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ ﴾ أي خلقنا في جهة العلو فوقكم يا بني آدم ﴿ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ أي سبع سماوات، سُمِّيت بذلك لأن بعضها فوق بعض، ولأنها طرائق الملائكة ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ ﴾ عن جميع المخلوقات من البشر ﴿ غَافِلِينَ ﴾ أي مهملين أمرها، بل نحفظها وندبرها، حتى تبلغ نهايتها في الحياة.

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (١٨)

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ هو المطر أنزلناه بحسب الحاجة ﴿ يَقْدَرُ ﴾ أي بتقدير لائق، لا كثيراً فيتلف ويفسد، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، إنما أنزلناه بمقدار ما علمناه لمصالحهم ﴿ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي جعلناه ثابتاً قاراً فيها ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ ﴾ أي على إزالته بالإفساد، أو التغير في الأرض، بحيث يتعذر استنباطه ﴿ لَقَادِرُونَ ﴾ كما كنا قادرين على إنزاله، فقيّدوا هذه النعمة بالشكر كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾؟

﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ .

﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ ﴾ أي بذلك الماء ﴿ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا ﴾ في الجنات ﴿ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ تتفكهون بها ﴿ وَمِنْهَا ﴾ أي من الجنات ﴿ تَأْكُلُونَ ﴾ أي لكم في ثمرتهما أنواع من الفواكه: الرطب، والعنب، والتمر، والزبيب، والعصير، والدبس، وغير ذلك.

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلَّالِكِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ .

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ أي وشجرة الزيتون المباركة التي تنبت حول جبل الطور، وتخصيصها بالذكر، لاستقلالها بمنافع عديدة ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ أي تنبت بثمر الدهن يعني الزيت ﴿ وَصَبْغٍ لِلَّالِكِينَ ﴾ أي وإدام للالكلين، والصبغ: ما يُصبغ به ويختص بكل إدام مائع، كالخل ونحوه، وإنما أضيفت الشجرة إلى هذا الجبل، لأنها منه تشعبت في البلاد، وانتشرت، ومعظمها هناك.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا بِطُورِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ أي تعتبرون بحالها، وتستدلون بها على عظمة الله وجلاله، وهذا بيانٌ للنعم الفائضة من جهة الحيوان ﴿ لِّتُنذِرُوا بِطُورِهَا ﴾ تفصيل لما فيها من مواقع العبرة، والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن، أي نخرج من بطونها لبناً سائغاً ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ﴾ غير ما ذكر من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي لحومها، فتنفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها.

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ ٢٢ .

﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ أي على الأنعام، والمراد بها خاصة الإبل، لأنها هي المحمول عليها عندهم ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ وفي الجمع بينها وبين الفلك في إيقاع الحمل عليها، مبالغة في تحملها للحمل، وهو الداعي إلى تأخير ذكر هذه المنفعة، لأنها سفائن البر، قال ذو الرمة «سفينة بر تحت خدي زمامها» يريد ناقته، فإنها تحمله وتحمل أثقاله وزاده.

ولما بين تعالى دلائل التوحيد، أردفها بالقصص للعتبة والاعتبار فقال:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٢٣ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ أي ما لكم إله غير الله تعالى، وفي إيراد قصة نوح عليه السلام إثر قوله: ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ من حسن الموقع ما فيه، إذ كانت نجاة ونجاة المؤمنين معه، بواسطة الفلك والآية شروع لبيان إهمال الأمم السابقة، وتركهم النظر والاعتبار، فيما عدّد من النعم، وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم، وما حاق بهم من العذاب، تحذيراً للمخاطبين ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾؟ أي أفلا تتقون عذابه، الذي يستوجهه ما أنتم عليه؟.

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴾ ٢٤ .

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ أي هو بشر مثلكم،

يأكل ويشرب، وهو مشارك لكم في جميع الأمور، وصفوه بذلك، مبالغة في إنزال رتبته العالية، وحطها عن منصب النبوة ﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي يريد أن يطلب الفضل عليكم، مع كونه مثلكم، يقولون ذلك، إغراء لهم على معاداته ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ أي لأرسل رسلاً من الملائكة ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي بمثل هذا الكلام، الذي هو الأمر بعبادة الله وحده ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ أي الماضين قبل بعثته عليه السلام، قالوه لفرط غلوهم في التكذيب.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَضُّوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٢٥﴾ .

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي جنون ولذلك يقول ما يقول ﴿فترَضُّوا بِهِ﴾ أي فاحتملوه واصبروا وانتظروا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ لعله يفوق مما فيه وإلا قتلتموه، رضوا بالألوهية للحجر، ولم يرضوا بالنبوة للبشر.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ .

﴿قَالَ﴾ عليه السلام بعدما يشس من إيمانهم ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ بإهلاكهم فإنه حكاية إجمالية لقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿بِمَا كَذَبُونَ﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أي أجبنا دعاءه وأوحينا عند ذلك إليه ﴿أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ملتبساً

بحفظنا، كأن معه عليه السلام منه عز وجل حُرَّاساً يكلؤونه بأعينهم من التعدي ﴿وَوَحِينَا﴾ وتعليمنا لكيفية صنعها ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا والمراد بمجيئه كمال اقترابه، أي إذا جاء وقت عذابنا ﴿وَفَكَرَ التَّوْرُ﴾ هو التَّوْرُ الذي يُخبز فيه، وقيل: هو وجه الأرض، روي ذلك عن ابن عباس قيل له: إذا فار الماء من التنور، اركب أنت ومن معك، فلما نبع منه الماء، أخبرته امرأته فركبوا ﴿فَأَسْأَلُكَ فِيهَا﴾ أي ادخل فيها، يقال: سلك فيه أي دخل فيه، قال الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟﴾ ﴿مِنْ كُلِّ﴾ أي من كل صنف ﴿زَوْجَيْنِ﴾ أي فردين مزدوجين ذكر وأنثى ﴿أُنثَيْنِ﴾ فإنه نص في الفردين، وذلك لثلا ينقطع ذلك الحيوان ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أهل بيتك أو من آمن معك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ أي سبق من الله تعالى القول بإهلاكه، وإنما جيء بعلی، لأن السابق ضار، كما جيء باللام في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ لكونها نافعاً ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي﴾ بالدعاء لهم لإنجائهم ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي.

﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّعَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ﴾ أي إذا تمكنتم ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّعَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ .

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي﴾ من السفينة إلى الأرض ﴿مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾ أي إنزالاً مباركاً، يستتبع خيراً كثيراً ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ثناء مطابق لدعائه، أمره بأن يُشفعه به، مبالغة وتوسلاً به إلى الإجابة، إذ بالشكر تدوم النعم.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ جليلة يستدل بها أولو الأبصار، على عظمة الواحد القهار ﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ أي لمختبرين بهذه الآيات عبادنا، لننظر من يعتبر ويتذكر، بآيات الله الباهرة.

﴿ تَرُؤْأَسْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ .

﴿ تَرُؤْأَسْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي من بعد إهلاكهم ﴿ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ هم «عاد» حسبما روي عن ابن عباس، وعليه أكثر المفسرين، وهو الأوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة، من إيراد قصة هود، إثر قصة قوم نوح.

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ .

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ ﴾ لم يأتهم من غير مكانهم، ولم يكن غريباً عنهم، بل إنما نشأ من بين أظهرهم، كما ينبيء عنه قوله تعالى ﴿ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ أي من جملتهم نسباً ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾؟ أي أفلا تخافون عذابه وانتقامه إن كفرتم؟.

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾ أي بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ونعمناهم ووسعنا عليهم في

الدنيا ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ أي ما هو إلا إنسان مثلكم وليس برسول ﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ تقرير للمماثلة، وإيثار مثلكم على مثلنا، للمبالغة في تهوين أمره، والحط من شأنه.

﴿ وَلَيْنَ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ .

﴿ وَلَيْنَ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ ﴾ أي امتثلتم بأوامره ﴿ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴾ عقولكم، حيث أذللتم أنفسكم بطاعة شخصٍ مثلكم.
انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق، الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسراناً، دون عبادة الأصنام؟.

﴿ أَيْدِيكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ .

﴿ أَيْدِيكُمْ ﴾ أي أيديكم بالحياة بعد الموت؟ والغرض زجرهم عن اتّباعه، بإنكار وقوع ما يدعوهم إلى الإيمان به ﴿ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا ﴾ أي أصبحتم عظاماً نخرة، مجردة عن اللحوم والأعصاب ﴿ أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ من القبور أحياء.

﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ ﴾ أي بُعد، بُعد هذا الذي توعدونه، من الإخراج من القبور بعد موتكم، التكرير للتأكيد ﴿ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ أي لما يخبركم عنه من البعث، والحساب، والجزاء.

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ أصله ما الحياة إلا حياتنا، فأقيم الضمير مقام الأولى، لدلالة الثانية عليها، حذراً من التكرار، وإشعاراً بإغنائها عن

التصريح، كما في «هي النفس تتحمل ما حُمِلَتْ» ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ لم يريدوا بقولهم هذا «نموت ونحيا» الشخص الواحد، لأنهم منكرون للبعث، بل أرادوا أن البعض يموت، والبعض يحيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ .

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيما يدّعيه من إرساله إلينا رسولا، وفيما يعدنا من البعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي بمصدقين له فيما يقوله!!

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ .

﴿قَالَ﴾ أي هود عليه السلام، عند يأسه من إيمانهم، متضرعا إلى الله عزّ وجلّ ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم وانتقم لي منهم ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾ أي بسبب تكذيبهم لي.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ .

﴿قَالَ﴾ تعالى إجابة لدعائه ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي عن زمان قليل ﴿لِيُصْبِحُنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَادِمِينَ﴾ على ما فعلوا من التكذيب.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِالْقَوْمِ﴾
﴿الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ .

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ لعلمهم حين أصابتهم الريح العقيم، أصيبوا في تضاعفها بصيحة هائلة أيضاً، روي أن شداد بن عاد حين أتم إرم سار

إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله صيحة من السماء فهلكوا، وقيل:
الصيحة نفس العذاب الذي نزل بهم، قال قائلهم:

صَاحَ الزَّمَانُ بِآلِ بَرِّمَكَ صَيْحَةً خَرُّوا لِشِدَّتِهَا عَلَى الْأَذْقَانِ
﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالأمر الثابت، الذي لا دافع له، وبالعدل ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ
غُشَاءً﴾ أي كغشاء السيل وهو حميله ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهو من
المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها أي بعدوا بعداً، أي هلكوا واللام لبيان
من قيل له بعداً، فبعداً بمنزلة اللعن، ذُكِرَ على وجه الاستخفاف والإهانة.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد هلاكهم ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾ هم قوم
صالح، ولوط، وشعيب، عليهم السلام وغيرهم.

إن الله سبحانه يقص القصص في القرآن، تارة مفصلاً، وتارة مجملاً
كما هنا، والمعنى: ما أخلى الديار من المكلفين بل خلق بعدهم أمماً
آخريين.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ أي ما تتقدم أمة على الوقت الذي
عُيِّنَ لهلاكها، ولا تتأخر عنه.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ «ثم» للتراخي، يعني أن إرسال كل رسول، متأخر
عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول، كأنه قيل: ثم أنشأنا من بعدهم

قروناً، قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولاً خاصاً به ﴿تَتَرَىٰ﴾ أي متواترين واحداً بعد واحد، ومنه جاؤوا تترى أي متتابعين ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولًا كَذَّبُوهُ﴾ في أول الملاقاة، وفيه تشنيع عليهم بكمال ضلالهم، حيث كذبت كل واحدة منهم رسولهم ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ في الهلاك، حسبما تبع بعضهم بعضاً في مباشرة أسبابه، التي هي الكفر، والتكذيب، وسائر المعاصي ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي لم يبق منهم إلا حكايات، يعتبر بها المعتبرون، وهو جمع أحداثثة، وهي ما يتحدث به تلهياً وتعجباً، أي جعلناهم قصصاً تُروى، وأحاديث يتحدث بها تعجباً ﴿فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي فهلاكاً ودماراً لقوم لا يؤمنون بالله.

اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الإيمان، أما القرون الأولى فحيث نقل عنهم الغلو في الكفر والعدوان، وصفوا بالظلم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٤٥﴾ .

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ هي الآيات التسع ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي حجة واضحة ملزمة للخصم، تدلُّ على صدقهما وتأييد الله لهما بالبراهين القاطعة.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ .

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي أشرف قومه ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الانقياد ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين ومتمردين على الله ورسوله.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَدِيدُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ .

﴿فَقَالُوا﴾ أي قالوا فيما بينهم ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾؟ يعنون موسى وهارون عليهما السلام ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ يعنون بني إسرائيل ﴿لَنَا عَدِيدُونَ﴾؟ أي

خادمون، منقادون لنا كالعبيد، كأنهم قصدوا التعريض بشأنهما، وحثَّ رتبتهما، بناء على زعمهم الفاسد، المؤسس على التقدم في نيل الحظوظ الدنية، من المال والجاه، كدأب قريش، حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١)؟ وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة، هو السبق في إحراز الملكات السنية، بالقوة القدسية، مع صفاء الجوهر الذاتي، فأنى لهم هذا خذلهم الله!

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلِكِينَ﴾^(٤٨).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أي فاستمروا على تكذيبهما، وأصرُّوا واستكبروا
﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلِكِينَ﴾ في البحر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٤٩).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ قوم ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة بعد إهلاكهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى طريق الحق، بالعمل بما فيها.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٥٠).

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ دالة على عظيم قدرتنا، بولادته منها من غير مسيس بشر ﴿وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ إلى أرض مرتفعة هي بيت المقدس ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي مستقر يستقر عليها ساكنوها، وكانت ذات ثمار وزروع، لأجلها يستقر فيها الناس ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي وماء معين ظاهر يجري على وجه الأرض، مَعَن الماء جرى، فهو معين.

(١) سورة الزخرف، آية: ٣١.

تبه سبحانه على كمال نعمه عليهما، بهذا اللفظ على اختصاره.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ خوطب به كل رسول في عصره، وليس إباحة الطيبات من خصائص عيسى عليه السلام، بل هو شرع قديم، أي وقلنا لكل رسول: كل من الطيبات، وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية، من رفض الطيبات ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي عملاً صالحاً موافقاً للشرع الشريف، وتقديم قوله: ﴿كلوا من الطيبات﴾ كالدلالة على أن العمل الصالح، لا بد أن يكون مسبوقاً بأكل الحلال الطيب ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة، فأجازيكم عليه.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ أي خافوا عذابي وعقابي، وهو استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام، مسوقاً لبيان أن ملة الإسلام والتوحيد، مما أمر بها كافة الرسل والأمم، فمن دخل في الإسلام، يشعر بأنه صار أخاً لجميع المسلمين، وأن أمته هي الأمة الإسلامية، لا العربية، ولا الفارسية، ولا التركية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وقال ﷺ في خطبة الوداع: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، إلا بالتقوى» الحديث..

واليوم حدثت العصبية الجاهلية التي حرمها الإسلام، بعد أن ضعف العلم والدين، حتى قام بعض الأعاجم يفتخر بسلفه من الوثنيين والمجوس، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي فاحذروا مخالفتكم أمري، والأمر في حق الرسل للتهييج، وفي حق الأمم للتحذير والإيجاب.

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾ أي تقطعوا أمر دينهم مع اتحاده، وجعلوه أدياناً مختلفة ﴿ زُبُرًا ﴾ أي قطعاً، جمع زبور بمعنى الفرقة، أي أدياناً مختلفة ﴿ كُلُّ حِزْبٍ ﴾ من المتحزبين ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ من الذي اختاروه ﴿ فَرِحُونَ ﴾ مسرورون، ومعتقدون أنهم على الحق .

﴿ فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

﴿ فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ ﴾ شبه ما هم فيه من الجهالة، بالماء الذي يغمر القامة، لأنهم مغمورون فيها، والغمرة: الانهماك في الباطل، والخطاب للرسول ﷺ، أي اتركهم على حالهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ هو حين موتهم، فهو وعيد لهم، والمراد به الحالة التي تقترن بها الحسرة والندامة .

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴾ أي نعطيهم إياه .

﴿ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

﴿ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾؟ أي أيسرؤون أنما نسارع به لهم، فيما فيه خيرهم وإكرامهم، معاجلة بالثواب على حسن صنيعهم؟. ﴿ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي لا يشعرون بشيء أصلاً، كالبهائم التي لا فطنة لها ولا شعور، ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراجٌ لهم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ﴾ (١) الآية .

(١) سورة التوبة، آية: ٨٥ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ﴾ . بيان من له المسارعة في الخيرات، إثر إقناط الكفار عنها ﴿مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ﴾ أي من خوف عذابه ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي حذرون وخائفون .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَثَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَثَابَتِ رَبِّهِمْ﴾ المنزلة على رسوله ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بتصدقها ولا يفرقون بين كتبه ورسله .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ شركاً جلياً ولا خفياً، ولا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويخلصون له العمل طلباً لمرضاته .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾ أي يعطون ما أعطوه من الصدقات والخيرات، وأنواع القربات والصلاحات ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي وهم خائفون مشفقون ألا يتقبل الله منهم، من قوة إيمانهم، وفرط إحسانهم، رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يشربون الخمر، ويسرقون، ويخافون ربهم؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكن هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون أن لا يُقبل منهم: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(١) ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أي لأنهم يوقنون أنهم إلى الله عز وجل صائرون، للمجازاة .

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣١٧٤ والحاكم ٣٩٤/٢ وصححه .

﴿ أَوْلَيْكَ إِسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (١١).

﴿ أَوْلَيْكَ ﴾ أي أولئك المنعوتون ﴿ إِسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ أي في نيل الخيرات الموعودة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ وقد غيّر الأسلوب، حيث لم يقل: نسارع لهم في الخيرات، بل أسند المسارعة إليهم، إيماءً إلى كمال استحقاقهم، لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ أي ينالونها قبل الآخرة، حيث عجلت لهم في الدنيا.

﴿ وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٢).

﴿ وَلَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي ولا نكلف أحداً من العباد ما لا يطيق، تفضلاً منا وإحساناً، والآية سقت للتحريض على ما وصف من فعل الطاعات، ببيان أنه تعالى لا يكلف عباده ما ليس في وسعهم، وما عليهم إلا أن يبذلوا طاقتهم ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ ﴾ أي صحائف الأعمال يقرؤونها عند الحساب ﴿ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ﴾ أي تظهر فيه أعمالهم، وكأنها تنطق عليهم بما عملوا، كقوله تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) أي عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد، على ما هي عليه، وقوله تعالى: ﴿ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ﴾ أي يظهر الحق، ويبين للناظر كما بينه النطق للسامع، فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها، ويترتب عليها أجزيتها ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي لا يظلمون بنقص ثواب، أو بزيادة عذاب، بل يجزون بقدر أعمالهم.

(١) سورة الجاثية، آية: ٢٩.

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَقٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَقٍ مِّنْ هَذَا ﴾ الضمير للكفرة ﴿ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَقٍ ﴾ أي في عماية وغطاء، وغفلة غامرة، عن هذا القرآن ﴿ وَهُمْ أَعْمَلُ ﴾ خبيثة كثيرة ﴿ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ﴾ الذي ذكر، من كون قلوبهم في غفلة، وهي: فنون كفرهم ومعاصيهم ﴿ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴾ أي مستمرين عليها، لا يكفون عنها، ولا ينزجرون.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْحَرُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ أي متنعميهم، وهم الذين أكرمهم الله بالمال والبنين، أي لا يزالون يعملون أعمالهم السيئة، إلى أن أخذنا رؤساءهم ﴿ بِالْعَذَابِ ﴾ هو القتل، والأسر، والجوع الذي أصابهم بالقحط، حتى أكلوا الكلاب والجحيف ﴿ إِذَا هُمْ يَجْحَرُونَ ﴾ أي فاجئوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل، وتخصيص مترفيهم، مع عموم العذاب للكل لغاية ظهور أمرهم، فإذا كان المترفون ذاقوا العذاب، فلأن يلقاها من عداهم من الأتباع والخدم أولى.

﴿ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ .

﴿ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ ﴾ أي لا تستغيثوا اليوم من العذاب ﴿ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴾ فإنكم لا تمنعون من عذابنا، وهو تليلٌ للنهي عن الجوار، ببيان عدم نفعه، أي لا تلحقكم من جهتنا نصرَةٌ تنجيكم.

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ .

﴿ قَدْ كَانَتْ ﴾ تليل لعدم النصر ﴿ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ ﴾ أي تعرضون عن سماعها أشدَّ الإعراض، فضلاً عن تصديقها.

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ .

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ ﴾ على المسلمين ﴿ بِهِ ﴾ أي بالبيت الحرام وبالحرَم، تزعمون أنكم حماة وخدامه ﴿ سَامِرًا ﴾ أي تسمرون بذكر القرآن، والطعن فيه، حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكان عامة سمرهم ذكر القرآن بالانتقاص ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ من الهُجر وهو الفحش، هَجَرَ المريضُ في كلامه خَلَطَ وهذى، والهُجر بالضم الفحش.

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٧٨﴾ .

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ أي القرآن، والهمزة للإنكار، أي أفعلوا ما فعلوا من النكوص، والاستكبار، والهجر، فلم يتدبروا القرآن المعجز، ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم، وصحة الاستدلال، والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم، فيؤمنوا به ﴿ أَمْ جَاءَهُمْ ﴾ أم منقطعة وما فيه من معنى بل للإضراب، والانتقال عن التوبيخ إلى توبيخ آخر، أي بل أجهلهم من الكتاب ﴿ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ حتى استبدعوه، واستبعدوا نزوله، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال، يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى، سُنَّةٌ قديمة له تعالى، لا يكاد يتسنى إنكاره، وأن مجيء القرآن على طريقته، فمن أين ينكرونه ويعتقدون أن مجيء الرسل، أمرٌ على خلاف العادة، فقد عرفوا بالتواتر، أن الرسل عليهم السلام بعثوا إلى الأمم.

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمُ الْمُنْكَرُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ﴾ إضراب من التوبيخ إلى توبيخ بوجه آخر، والهمزة لإنكار الوقوع أيضاً، أي بل ألم يعرفوا رسولهم ﷺ بالأمانة، والصدق، وحسن الأخلاق، وكمال العلم، مع عدم التعلم من أحد، مما

حاز به الكمالات اللاتفة بالأنبياء عليهم السلام؟ ﴿فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا﴾ أي جاحدون لنبوته، فهو تأكيد لما قبله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ ﴿٧١﴾ .

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي بل يقولون به جنون، مع أنه أرجح الناس عقلاً وأثقبهم ذهنًا، وأتقنهم رأياً، وأوفرهم رزانه ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ إضراب عما سبق، أي ليس الأمر كذلك في حق القرآن والرسول، بل جاءهم محمد بالصدق الثابت، الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل، ولا مدخل للباطل عليه بوجه من الوجوه ﴿وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ أي ومع وضوح الأمر، فإن أكثر المشركين يكرهون الحق، لما في جبلتهم من الزيف والانحراف حيث علموا أنهم لو أقروا ﷺ لزالوا مناصبهم ورياستهم، ولذا كرهوا هذا الحق الأبلج، وزاغوا عن الطريق الأنهج، وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف، لا يقتضي عدم كراهة الباقيين للحق المبين، وإنما ذكر الأكثر لأن من اهتدى منهم أقل من القليل.

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ﴿٧٢﴾ .
﴿أَلَيْسَ لَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٧١﴾ .

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي لو كان ماكرهوه من الحق الذي من جملة ما جاء به ﷺ، موافقاً لأهوائهم الباطلة ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية، لأن مناط النظام ليس إلا ذلك، وفيه من تنويه شأن الحق، والتنبيه على سمو مكانه، ما لا يخفى!! ﴿بَلْ أَلَيْسَ لَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ انتقال من تشييعهم بكراهة الحق، تشييعهم بالإعراض عن الرغبة فيما فيه خيرهم وسعادتهم، والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم، حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَذِكْرَ لِكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ والمعنى: بل أتيانهم بفخرهم وشرفهم، الذي كان يجب

عليهم أن يُقبلوا عليه أكمل إقبال، لأن الرسول ﷺ منهم، والقرآن بلغتهم، وهو أعظم شرف لهم ﴿ فَهَمَّ ﴾ بما فعلوا من الإعراض والعناد ﴿ عَن ذِكْرِهِمْ ﴾ أي شرفهم خاصة ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ بسوء اختيارهم، ووضَع الظاهر بدل الضمير، لمزيد التشنيع عليهم.

﴿ أَمَرْتَهُمْ خِرَاجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ (٧٦)

﴿ أَمَرْتَهُمْ خِرَاجًا ﴾ جُعَلًا وأجرًا على أداء الرسالة، انتقالًا إلى التوبيخ بوجه آخر، كأنه قيل: أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة أجرًا، فلذلك لا يؤمنون بك؟ والْحَرْجُ، وَالْحَرَاجُ: ما يحصل من غلّة الأرض، ولذلك أطلق على الجزية ﴿ فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ ﴾ أي رزقه في الدنيا، وثوابه في الآخرة خير لك يا محمد، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ أي هو تعالى أفضل من تكرر فأعطى ورزق.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٧٦)

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هو دين الإسلام، الذي تشهد العقول السليمة باستقامته، ليس فيه شائبة اعوجاج، ولقد ألزمهم الله عز وجل، وأزاح علّهم، في هذه الآيات، وبيّن انتفاء ما عدا كراهتهم للحق، وقلة فطنتهم بمصالحهم، وما يسعدهم وينجيهم من عذاب الله.

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴾ (٧٦)

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ وصفوا بذلك تشنيعاً لهم، بما هم عليه من الانهماك في الدنيا، وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإشعاراً بعلّة الحكم، فإن الإيمان بالآخرة، من أقوى الدواعي إلى طلب الحق،

وسلوك سبيله ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُنَكِبُونَ﴾ أي عن جنس الصراط لعادلون عنه، فضلاً عن الصراط المستقيم، نكب عن الطريق: عدل ومال عنه.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ لَّلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ .

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ﴾ أي قحط وجدب ﴿لَّلَجُوا﴾ أي لتمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ إفراطهم في الكفر والاستكبار، وعداوة الرسول والمؤمنين ﴿يَعْمَهُونَ﴾ عامهين عن الهدى، ومتحيرين، روي أنه لما أسلم «ثمامة بن أثال» ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة، وأخذهم الله بالسنين، حتى أكلوا الميتة والكلاب والحشرات، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يرجوه الدعاء لكشف الضر، فنزلت الآية.

والمعنى: لو كشفنا عنهم ما أصابهم برحمتنا، لارتدوا إلى ما كانوا عليه، من الإفراط بالكفر والعصيان، وقد كان الأمر كذلك، فقد عادوا إلى الفجور والطغيان بعد أن أغاثهم الله بدعاء رسوله ﷺ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ .

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ هو ما نالهم يوم بدر، وما أصابهم من فنون العذاب، من جملتها القحط المذكور، واللام جواب قسم محذوف، أي وبالله لقد أخذناهم بالعذاب العاجل ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي لم يخضعوا لله، بل أقاموا على العتو والاستكبار ﴿وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ أي وليس من عاداتهم التضرع إليه تعالى^(١).

(١) هكذا كان شأن الفجرة من طاعة مكة، لم يخضعوا لله ولم يستجيبوا لدعوة رسوله، وما روي منهم لين وتوجه إلى الإسلام، وأما ما أظهره أبو سفيان من الاستكانة له =

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (٧٧).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ هو عذاب الآخرة، كما ينبىء عند التهويل بفتح الباب، والوصف بالشدة ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ متحIRON آيسون من كل خير، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١) أبلَسَ إبلاساً: سكتَ وأيسَ.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨).

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ لتسمعوا بها الآيات التنزيلية ولتشاهدوا بها الآيات التكوينية، وخصَّهما بالذكر لأنهما يتعلق بهما كثير من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ لتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا وتستدلوا بها إلى غير ذلك ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي شكراً قليلاً تشكرون تلك النعم الجليلة، لأن العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجله والإذعان لمانحها، وأنتم تُخلون بذلك إخلالاً عظيماً، وليس المراد أن لهم شكراً وإن قلَّ، وما مزيدة للتأكيد بمعنى حقاً.

﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٧٩).

﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴾ أي خلقكم وبثكم ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ بالتناسل ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي تجمعون يوم القيامة لا إلى غيره، فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه؟.

= تعالى، فإنما هو نوع خنوع إلى أن يتم له غرضه، فحاله كما قيل عن بعض الطغاة المتجبرين: إذا جاع ضغفاً، وإذا شبع طغفاً، وأكثرهم مستمررون على هذا الشأن.
(١) سورة الروم، آية: ١٢.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٨٠)

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ من غير أن يشاركه في ذلك شيء من الأشياء ﴿ وَلَهُ ﴾ خاصة ﴿ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ وهو المؤثر في اختلافهما أي تعاقبهما ازدياداً وانتقاصاً ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾؟ أي ألا تفكرون فلا تعقلون أن الكل منا!؟ .

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ (٨١)

﴿ بَلْ قَالُوا ﴾ كفار مكة عطف على مضمر، أي فلم يعقلوا، بل قالوا ﴿ مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ أي آباؤهم ومن دان بدينهم .

﴿ قَالُوا أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِذَا نَلْمَبْعُوثُونَ ﴾ (٨٢)

﴿ قَالُوا أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أءِذَا نَلْمَبْعُوثُونَ ﴾ أي سنعود إلى الحياة مرة أخرى؟ .

﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلاَّ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٨٣)

﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا ﴾ أي البعث ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ متعلق بالفعل من حيث إسناده إلى آباؤهم لا إليهم، أي وَعِدَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴿ إِن هَذَا إِلاَّ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي ما هذا إلا خرافات وأباطيل الأمم السابقة، وأكاذيبهم التي سَطَّرُوهَا، جمع أسطورة كأعجوبة والأساطير: الأباطيل، واحدها إسطورة وأسطورة، كأنهم قالوا: إن هذا الوعد كما وقع منه ﷺ، فقد وقع قديماً، ولم يوجد مع طول العهد، فظنوا أن الإعادة تكون في دار الدنيا .

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٨٤﴾ .

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾؟ من المخلوقات وأورد «مَنْ» ولم يقل «ما» تغليبا للعقلاء على غيرهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾؟ شيئا فأخبروني به، وفيه استهانة بهم وسخرية، وتقرير لجهلهم، ولذلك أخبر بجوابهم، قبل أن يجيبوا.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٨٥﴾ .

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ لأن بديهية العقل، تضطرهم إلى الاعتراف بأنه خالقها ﴿ قُلْ ﴾ عند اعترافهم ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾؟ فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداءً، قادر على إيجادها ثانياً؟ فإن البدء ليس بأهون من الإعادة، بل الأمر بالعكس في قياس العقل! وفيه الترغيب في التدبر، ليعلموا بطلان ما هم عليه.

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٨٦﴾ .

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾؟ أعيد الرب تنويهاً لشأن العرش، ورفعاً لمحلّه عن أن يكون تبعاً للسموات، وجوداً وذكراً.

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكُ ﴾ ﴿٨٧﴾ .

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ ﴾ إفتحاماً لهم وتوبيخاً ﴿ أَفَلَا نُنْقِوُكُ ﴾؟ أي أفلا تخافون عذابه؟ وكيف تنكرون قدرته على البعث وهو الخالق المبدع جلّ وعلا!؟ .

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨)

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مما ذكر ومما لم يذكر، أي ملكه التام، والملكوت: الملك الواسع، والواو والتاء للمبالغة، فتنبىء عن عظم الملك ﴿ وَهُوَ يُحْيِيهِ ﴾ يغيث غيره إذا شاء ويحرسه ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي ولا يغيث أحد عليه، أي لا يمنع أحد منه أحداً إذا أراد به سوء ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي إن كنتم تعلمون فأخبروني عن ذلك!! .

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (٨٩)

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ أي لله ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه ﴿ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾؟ فمن أين تخذعون وتصرفون عن الرشد، إلى ما أنتم عليه من الغي؟ فإن من لا يكون مسحوراً مختلاً العقل، لا يكون كذلك.

﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٩٠)

﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ أي جئناكم بالأمر الصادق القاطع، الذي لا محيد عنه من التوحيد، والوعد بالبعث ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيما قالوا من الشرك، وإنكار البعث.

﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (٩١)

﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ كما يقوله النصراني، والقائلون الملائكة بنات الله، وهم مشركو مكة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ يشاركه في الألوهية كما يقوله عبدة الأوثان وغيرهم ﴿ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ

إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ ﴿ أَيُّ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَزْعُمُونَ، لِذَهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا خَلَقَهُ، وَاسْتَبَدَّ بِهِ، وَامْتَازَ مَلِكُهُ عَنِ الْمَلِكِ الْآخِرِينَ، وَوَقَعَ بَيْنَهُمُ التَّغَالِبُ وَالتَّحَارِبُ، كَمَا هُوَ الْجَارِي بَيْنَ الْمُلُوكِ ﴿ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أَيُّ لَغَلَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَمْ يَكُنْ بِيَدِهِ وَاحِدَةٌ مَلَكُوتٍ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ نَزَّهَ تَعَالَى ذَاتَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ مِنْ إِثْبَاتِ الْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ، وَحَيْثُ لَمْ يُرَ أَثَرُ التَّمَايِزِ، وَالتَّغَالِبِ، فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَلَّمَ أَنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ، بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ.

﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٩٢﴾

﴿ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ هَذَا دَلِيلٌ آخَرَ عَلَى انْتِفَاءِ الشَّرِيكِ، بِنَاءً عَلَى تَوَافُقِهِمْ فِي تَفَرُّدِهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ رَتَّبَ عَلَيْهِ بِالْفَاءِ ﴿ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ فَإِنْ تَفَرَّدَهُ تَعَالَى بِذَلِكَ، مُوجِبٌ لِتَعَالِيهِ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، أَوْ شَبِيهٌ، أَوْ نَظِيرٌ!.

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ أَيُّ مَا تَعْدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا.

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أَيُّ قَرِينًا لَهُمْ، فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ شَوْمِ الْكُفْرِ، وَفِيهِ إِذْ بَانَ بِكَمَالِ فِطْرَتِهِ مَا وَعَدُوهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَكَوْنِهِ بِحَيْثُ يَجِبُ أَنْ يَسْتَعِيدَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿ لَقَدِيرُونَ ﴾ وَلَكِنَّا نُوَخِّرُهُ.

﴿ أَدْفَعْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾

﴿ادْفَعْ بِأَلْتِي هِي أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن، وهي الصفح، والإعراض، والصبر ﴿السَّيِّئَةَ﴾ يعني أذاهم، لكن لا بحيث يؤدي إلى وهن في الدين، وهو أبلغ من «ادفع بالحسنة السيئة» لما فيه من التنصيص على التفضيل، كأنه قال: ادفع بالحسنة السيئة، قيل هي منسوخة بآية السيف، والصحيح أنها محكمة، إذ المداراة محثوث عليها، ما لم تؤدَّ إلى ثلم دين، أو نقصان مروءة ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي بما يصفونك به من الكهانة، والسحر، والكذب على الله، وفيه وعيد لهم، وتسلية للرسول ﷺ، وإرشاد له إلى تفويض أمره إليه تعالى.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي وساوسهم، وأصل الهمز: النخس، شُبَّه حثهم للناس على المعاصي، بهمز الرائض للدابة حتى تسرع، فالشياطين يُهَيِّجُونَ الكفار والفجَّار، على الكفر والعصيان.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ أي في شيء من أموري، وتخصيص حال الصلاة، وقراءة القرآن، وحلول الأجل، لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه، عن جبير بن المطعم عن أبيه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ حين دخل في الصلاة قال: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نفخه، ونفثه، وهمزه»^(١) قيل: نفخه: الكبر، ونفثه: الشَّعْرُ، وهمزه: الجنون.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه، وابن ماجه رقم ٧٩١ باب الاستعاذة في الصلاة.

﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ﴿٩٩﴾ .

﴿ حَقَّ ﴾ متعلق بيصفون، وما بينهما اعتراض مؤكد للإغضاء عن السفهاء بالاستعاذة من الشيطان، أن يزله عن الحلم، ويغريه على الانتقام، أي يستمرون على الوصف المذكور حتى ﴿ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ وظهر له أحوال الآخرة ﴿ قَالَ ﴾ تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ أي ردني إلى الدنيا، والواو لتعظيم المخاطب.

﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ .

﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ أي فيما ضيعت من عمري ﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن طلب الرجعة، واستبعاد لهم ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي قوله: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ لا محالة لتسليط الحسرة عليه ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ ﴾ أي أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة وهو القبر ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ يوم القيامة، وهو إقناط كلي عن الرجعة لما أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا، بل إلى الآخرة.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ النفخة الثانية، التي يقع عندها البعث ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ تنفعهم لزوال التراحم، والتعاطف، من فرط الحيرة، واستيلاء الدهشة، بحيث «يفرُّ المرء من أخيه، وأمه، وأبيه، وصاحبه، وبنيه» ولا أنساب يفتخرون بها ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ كما يفعلون اليوم ﴿ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً، لاشتغال كلِّ بنفسه، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ لأن هذا عند ابتداء النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ أي من زادت حسناته على سيئاته، فهو الفائز بالسعادة، ومن كثرت سيئاته وقلّت حسناته، فهو الشقي الخاسر، المخلّد في نار جهنم.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ أي تحرقها، واللّفح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه، وتخصيص الوجوه بذلك، لأنها أشرف الأعضاء ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ من شدة الاحتراق، والكلوح: تقلص الشفتين عن الأسنان، والعبوسة^(١).

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاكْتُمِبُوا ﴿١١٩﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ على إضمار القول، أي يقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً: ألم تكن آيات القرآن تتلى عليكم ﴿فاكتمبوا﴾ أي في الدنيا تكذبون بها وتسخرون؟.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ التي اقترفناها بسوء اختيارنا ﴿وكُنَّا﴾

(١) ورد تفسير الكلوح عن النبي ﷺ، في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «تشويه النار، فتقلص شفته العليا، حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى، حتى تضرب سُرّته» أخرجه الترمذي رقم ٣١٧٥ وأحمد في المسند ٨٨/٣.

بسبب ذلك ﴿قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الحق، وهذا كما ترى اعتراف منهم، بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٧).

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ لأنهم لو كانوا مجبورين على ما صدر عنهم، لما سألوا الرجعة إلى الدنيا، ولما وعدوا الإيمان والطاعة.

﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونَ﴾ (١٠٨).

﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا﴾ أي اسكتوا سكوت هوان، من خسأت الكلب إذا زجرته فحسأ أي ﴿وَلَا تَكَلِّمُونَ﴾ أي باستدعاء الإخراج من النار، وهو آخر كلامهم، ثم لا كلام لهم بعد ذلك، إلا الشهيق والزفير.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ (١٠٩).

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ هم المؤمنون المستضعفون، الذين كان المشركون منهم يسخرون، وقيل: هم أهل الصفة.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١١٠).

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي اسكتوا عن الدعاء بالإخراج من النار، لأنكم كنتم في الدنيا تستهزئون بالداعين من عبادي ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي﴾ من فرط اشتغالكم باستهزائهم ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي تسخرون منهم وتضحكون عليهم، لأنكم لا تؤمنون بقاء الله، ولا تفكرون في حساب ولا جزاء.

﴿ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ .

﴿ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ ﴾ أي جازيتهم على ما تحملوا في سبيل دينهم
﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي بسبب صبرهم على أذيتكم ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ أي هم
الفائزون بالنعيم الأبدي. فجوزوا أحسن الجزاء.

﴿ قُلْ كَمْ لَيْسْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ ﴿١١٢﴾ .

﴿ قُلْ ﴾ الله تعالى ﴿ كَمْ لَيْسْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾؟ أي كم مكثتم
أحياء في الأرض التي تريدون أن ترجعوا إليها؟.

﴿ قَالُوا لَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ .

﴿ قَالُوا لَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ استقصاراً لمدة لبثهم فيها، بالنسبة إلى
خلودهم في النار، ولأنها منقضية، والمنقضية في حكم المعدوم ﴿ فَسَلِّ
الْعَادِينَ ﴾ أي الحاسيين المتمكنين من العُدِّ.

قال ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب، المدة التي مكثوها
في الدنيا.

﴿ قُلْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١٤﴾ .

﴿ قُلْ ﴾ تصديقاً لهم في ذلك ﴿ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴾ أي لو كنتم من أهل العلم والفهم، لعلمتم قلة لبثكم فيها،
والغرض تعريفهم قلة أيام الدنيا، في مقابلة أيام الآخرة.

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿١١٥﴾ .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ بغير حكمة، حتى أنكرتم البعث
 ﴿وَأَنَّكُمْ إِلْتِنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء؟.

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْكَبِيرِ﴾ ﴿١١٦﴾.

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ﴾ استعظام له تعالى، أي ارتفع بذاته وتنزه عن المماثلة
 في ذاته وصفاته ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك على الإطلاق ﴿لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإن كل ما عداه عبيده وهو الكبير المتعال ﴿رَبُّ الْعَرْشِ
 الْكَبِيرِ﴾ الذي يحيط بالأجرام، وهو أعظم المخلوقات، ووصف العرش
 بالكرم، لأنه ينزل منه الوحي، والخير، والبركة.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ
 إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١١٧﴾.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يعبده ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة لازمة جيء به
 للتأكيد، وتنبهاً على أن التدين بما لا دليل عليه باطل ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ
 رَبِّهِ﴾ فهو مجاز له على قدر ما يستحقه، كأنه قيل: إن عقابه بلغ إلى
 حيث لا يقدر أحد على حسابه إلا الله عز وجل ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾
 أي لا يفوز ولا ينجح الجاحد المكذب، وضع الظاهر لأن «مَنْ» في معنى
 الجمع، بدأت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمت بنفي الفلاح
 عن الكافرين، ليظهر التفاوت الكبير بين الفريقين.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿١١٨﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ أمر الرسول ﷺ بالاستغفار،
 إيداناً بأنه من أهم الأمور الدينية، حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من

ذنبه وما تأخر، روى البغوي بسنده أن رجلاً مصاباً، مرَّ به علي ابن مسعود رضي الله عنه فرقاه في أذنه ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ إلى آخر السورة، فبرأ.

نحمد الله حمد الشاكرين، ونشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة المؤمنون».
